مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السابع والعشرون - المجلد الثامن - علوم القرآن - نيسان 2026م
doi.org/10.52866/esj.2026.08.27.01

القول الظاهر في أول فاطر، للشيخ حسن جلبي بن علي الرومي الحنفي، المعروف بـ ابن الحنّائي (ت1012هـ) -دراسة وتحقيق-

م.د. قحطان عدنان صبري المشهداني
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم علوم القرآن

مستخلص:

يتناول هذا البحث دراسةً وتحقيقًا لرسالة «القول الظاهر في أول فاطر» للعلامة حسن جلبي بن علي الحميدي الرومي الحنفي القسطنطيني، المعروف بابن الحنّائي (ت1012هـ)، وهو من الرسائل التفسيرية القصيرة التي تعكس عناية العلماء بتفسير القرآن، ولا سيما في القضايا العقدية واللغوية الدقيقة. وتكمن أهمية البحث في إبراز نموذج من مؤلفات التفسير الجزئي التي جمعت بين التفسير واللغة والفقه، وفي إحياء نصٍّ مخطوطٍ لم يحظَ بدراسة علمية مستقلة بما يسهم في خدمة التراث التفسيري وتقريبه للباحثين.

ويهدف البحث إلى تحقيق نص الرسالة اعتمادًا على أصولها الخطية، ودراسة منهج المؤلف في تفسير أوائل سورة فاطر، مع إبراز مكانته العلمية ومصادره، ومناقشة آرائه في ضوء أقوال المفسرين. وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في قسم الدراسة، ومنهج التحقيق العلمي في إخراج النص.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أنَّ المؤلِّف قدّم إضافات مهمّة، منها: نقد توجيه المجاز بالملزوم واللازم، وترجيح كون (الفطر) بمعنى الإبداع حقيقةً لا مجازًا، وتحقيق مسألة الإضافة في اسم الفاعل تحقيقًا نادرًا في كتب التفسير. ومن النتائج أنّ هذه الرسالة تعليقة نقديّة لا حاشية؛ لغلبة المناقشة والترجيح، وعدم التزام نصٍّ واحد، وتوسيع المسائل إلى أصولها النحويّة والبلاغيّة، مع التصريح بجمع التحقيقات من مصادر متعدّدة، وكذلك وجود إضافات نقديّة نوعيّة امتازت بقوّة النقد والدقّة في التفريق بين المفاهيم، وجمع شتات أقوال المفسِّرين وغيرهم في مسألة واحدة.

الكلمات المفتاحية: القول الظاهر، فاطر، ابن الحنَّائي، قنالي زاده .

Al-Qawl al-Zahir fi Awwal Fatir
by the eminent Hanafi exegete Hasan Jalabi ibn Ali ibn Amr Allah ibn Abd al-Qadir al-Hamidi al-Rumi, known as Ibn al-Hannai and also known as Qanalizada (d. 1012 AH)
A Critical Study and Edition

Abstract:

This study presents a critical edition and analytical examination of al-Qawl al-Zahir fi Awwal Fatir by the eminent Hanafi exegete Hasan Jalabi ibn Ali al-Hamidi al-Rumi, known as Ibn al-Hannai (d. 1012 AH). The work belongs to the genre of concise exegetical treatises that reflect Muslim scholars' sustained engagement with Quranic interpretation, particularly in subtle theological and linguistic issues. The significance of this research lies in highlighting a model of partial Quranic exegesis that integrates tafsir, Arabic linguistics, and jurisprudence, as well as in reviving an unedited manuscript that has not previously received independent scholarly attention, thereby contributing to the preservation and accessibility of the exegetical heritage for contemporary researchers.

The study aims to establish a reliable critical edition of the text based on its manuscript sources and to analyze the author's exegetical methodology in interpreting the opening verses of Surat Fatir. It also seeks to elucidate the author's scholarly standing, sources, and interpretive positions in light of classical exegetical discourse. The research adopts a descriptive analytical approach in the study section and follows established principles of textual criticism in the preparation of the edited text.

Among the most prominent findings reached by the study are: he author presents important contributions, including a critique of explaining figurative meaning through necessary relations, preferring the interpretation of fatr as literal creation rather than metaphorical, and a rare investigation of annexation in the active participle in works of Qur'anic exegesis. The study concludes that the work is a critical note rather than a marginal gloss, due to its emphasis on discussion and evaluation, its reliance on multiple sources, its expansion of issues to their grammatical and rhetorical foundations, and its strong critical additions marked by precision and clarity in distinguishing concepts and gathering dispersed scholarly views into a single discussion.

Keywords: al-Qawl al-Zahir; Surat Fatir; Ibn al-Hannai; Qanalizada .

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فقد أولى علماء المسلمين منذ صدر الإسلام تفسير القرآن الكريم عناية بالغة، لما فيه من بيان مقاصد الشرع وتوضيح أحكامه، وفهم أسرار معانيه، وكان التفسير من أكثر العلوم ارتباطًا بالعلم الشرعي واللغة العربية، فجمع بين البيان اللغوي والتأويل الشرعي، وبين عرض المعنى وإيضاح الحكمة الإلهية، ليكون بذلك مرجعًا لكل باحث في شؤون الدين واللغة.

وظهرت العديد من المؤلفات التفسيرية القصيرة، أو الرسائل التفسيرية المحدودة الحجم، التي كانت تهدف إلى تقديم تفسير محدد لموضوع معين أو للآيات التي تناولت قضية خاصة، مثل الرسائل التي تناولت بداية الخلق أو مسائل العقائد الأساسية، أو التي جمعت بين الفقه والتفسير واللغة في نطاق قصير يسهل على الطالب أو العالم الاطلاع عليها ونقلها. وقد كانت هذه الرسائل غالبًا مكتوبة على شكل مخطوطات، تحتاج إلى تحقيق علمي دقيق لفهمها ونقلها إلى القارئ المعاصر، مع ضبط ألفاظها وتصحيح الأخطاء التي تعتري النَّص أو التصحيف، وغالبًا ما يكون ذلك من النُّسَّاخ، وبيان المواقف العلمية للمؤلف، كما يعد تحقيق هذه المخطوطات والرسائل القصيرة من المهام العلمية الدقيقة التي تجمع بين علم المخطوطات، ودراسة النصوص، وفهم المقاصد الدينية واللغوية للمؤلف، إذ يتيح ذلك فرصة لإعادة اكتشاف علمائنا وأفكارهم وطرائقهم في العرض والتفسير، ويضعها في متناول الباحثين المعاصرين بأسلوب علمي واضح ومنهجي.

ومن هذا المنطلق، تأتي دراسة كتاب (القول الظاهر في أول فاطر) للعلامة حسن جلبي بن علي بن أمر الله الحميدي الرومي الحنفي، المعروف بابن الحنّائي وقنالي زاده (ت1012هـ)، كأحد الأمثلة على هذه الرسائل التفسيرية القصيرة التي جمعت بين التفسير، واللغة، والتي هي جديرة بالتحقيق والدراسة لما فيها من التحقيقات والدقائق التفسيرية والنُّكَت اللطيفة.

وأهمية الموضوع تكمن في كون هذا الكتاب يسلط الضوء على أحد أواخر كتب التفسير التي مزجت بين اللغة والتفسير، وهو بذلك يشكل مرجعًا مهمًا للباحثين في علوم القرآن وعلوم اللغة العربية على حد سواء. كما يكتسب الموضوع أهميته من ندرة الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الكتاب دراسة وتحقيقًا، مما يفتح الباب أمام قراءة علمية منهجية تسهم في حفظ التراث وتقديمه بصورة واضحة.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع، فترتبط أولاً برغبة الباحث في استكشاف مؤلفات العلماء المسلمين في التفسير اللغوي، وثانيًا لتسليط الضوء على شخصية ابن الحنّائي التي بقيت إلى حد ما لم تنل صداها في الدراسات التفسيرية، رغم عمق علمه وتأثيره في عصره. كما أن الموضوع يتيح للباحث تقديم دراسة وتحقيق علمي للنصوص الأصلية، مع ضبط القراءات والتراجم والشروح بما يسهم في تسهيل الوصول إلى المعنى المقصود.

وقسمت هذا البحث على قسمين، الأول: قسم الدراسة: يتناول التعريف بابن الحنَّائي ورسالته، والقسم الثاني في تحقيق نص الرسالة، ومن الله التوفيق.

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول:
التعريف بابن الحنّائي:

أولًا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو المولى حسن جلبي بن علي بن أمر الله بن عبد القادر الحميدي الرومي الحنفي القسطنطيني، المعروف بـ ابن الحنّائي، ويُعرف أيضًا بـ قنالي زاده وحنّائي زاده، وينسب إلى القسطنطينية باعتبار المولد والنشأة، وكان أبوه من أهل العلم والشعر، مشهورًا بذلك في عصره[1].

ثانيًا: مولده ونشأته:

وُلد سنة 953هـ في بروسة، ونشأ في كنف والده، فأخذ عنه مبادئ العلم، ثم تدرّج في الطلب حتى برز في الفقه والأدب. التحق بخدمة العلم والتدريس، ولازم شيخ الإسلام أبا السعود العمادي، فكان من خاصّة تلاميذه، ثم تولّى التدريس في المدارس النظامية إلى أن بلغ المدرسة السليمانية، بعد ذلك تقلّد مناصب القضاء في عدد من الأمصار العثمانية، فولي قضاء حلب سنة 999هـ، ثم القاهرة سنة 1003هـ، ثم أدرنة سنة 1005هـ، ثم عاد إلى مصر سنة 1006هـ، ثم بروسة سنة 1007هـ، وتوفي وهو على القضاء[2].

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه:

أخذ العلم عن عدد من أعلام عصره، من أبرزهم:

1. والده علي جلبي بن أمر الله بن عبد القادر الحميدي الرومي سيف الدين وعلاء الدين المعروف بقينالي زاده، وعلائي (ت 979هـ).
2. رمضان بن محمد الشهير بناظر زاده (ت 979هـ).
3. شيخ الإسلام أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ) وكان من خاصّة تلاميذه الملازمين له.
4. أحمد بن محمد المولى شمس الدين الحنفي الشهير بقاضي زاده (ت 988هـ)[3].

وأما تلاميذه فلم تفرد لهم المصادر تراجم مستقلة، غير أن أثره العلمي والأدبي انتقل عبر مصنفاته المتداولة، ولا سيما في الفقه والأدب والتراجم.

رابعاً: مؤلفاته

ترك ابن الحنَّائي آثارًا علمية وأدبية، أشهرها:

1. تذكرة الشعراء (بالتركية العثمانية)، جمع فيها تراجم شعراء الروم منذ نشأة الدولة العثمانية إلى عصره، ورتّبهم طبقات، وأضاف نوادر ولطائف،

(1) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: 387/ 1، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة: 31/ 2، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي: 28-27/ 2، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي: 290/ 1، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: 213/ 3، والبدور المضية في تراجم الحنفية الكُمِلَّائي: 291/ 6.

(2) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: 31/ 2، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: 27-/ 2 28.

(3) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: 28-27/ 2، ومعجم المؤلفين: 213/ 3، والبدور المضية في تراجم الحنفية: 291/ 6، والأعلام للزركلي: 264/ 4.

وهي أشهر مصنفاته وأوسعها تداولًا.

2. حاشية على درر الحكام في شرح غرر الأحكام للملَّا خسرو.

3. كاشف الأسرار في شرح بعض أبيات المثنوي.

4. رسالة الإجارات (في الفقه الحنفي).

5. رياض الرحمة (في الحديث).

6. القول الظاهر في أوَّل فاطر -والتي هي محلُّ التَّحقيق-.

وله غير ذلك من الرسائل والحواشي[1].

خامسًا: وفاته

توفي ابن الحنَّائي رحمه الله في شوال سنة 1012هـ، بمدينة رشيد من أعمال مصر، عن عمر ناهز ستين سنة، وذلك أثناء ولايته القضاء بها، بعد حياة حافلة بالتدريس والقضاء والتأليف[2].

المبحث الثاني: التعريف برسالة ابن الحنَّائي ومنهج التحقيق:

أولاً: اسم الرسالة ونسبتها إلى مؤلِّفها:

لم تذكر المصادر أو كتب الفهارس نسبة هذه الرسالة إلى الشيخ ابن الحنَّائي، ولكن ورد اسمها ونسبتها إلى مؤلفها صريحًا في الرسالة نفسها، ففي لوحة الغلاف ورد اسم المؤلف دون اسم الرسالة، ولكن بالخط الفارسي، فجاء في لوحة الغلاف التي أرفقناها في نماذج المخطوط: «بورسالة قنالي زادة حسن جلبينكدر خطنون منقولدر»، وترجمتها إلى اللغة العربية: «وهذه الرسالة منقولةٌ عن خطِّ قنالي زاده حسن جلبي».

أمَّا في خاتمة المخطوط فقد ذكر المؤلف اسمه صريحًا مع اسم رسالته فقال: «تَمَّتِ الرِّسَالَةُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى عَمَّ نَوَالُهُ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، تَاسِعِ شَهْرِ مَوْلُودِ النَّبِيِّ، سَنَةَ ثمان وسبعين وتسعمائة، بِيَدِ كَاتِبِ الْأَحْرُفِ وَالسُّطُورِ، الْمُعْتَرِفِ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ، الْخَالِي عَنْ حُلِيِّ الْعُلُومِ وَالْفَضَائِلِ، الْعَبْدِ الْمُفْتَقِرِ إِلَى الْمَلِكِ الْوَلِيِّ، الْحَقِيرِ: حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَامَلَهُمَا اللهُ بِلُطْفِهِ الْجَلِيِّ، وَعَوْنِهِ الْمُلِيِّ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ عُيُوبَهُ، فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، بِالْحَنْطِ وَالْخَلِ، وَالزَّيْغِ وَالزَّلَلِ، وَسَمَّيْتُهَا: بـ(الْقَوْلِ الظَّاهِرِ، فِي أَوَّلِ فَاطِرٍ)»[3].

يتبيَّن من مجموع الشواهد الداخليّة للمخطوط ثبوتُ اسم الرسالة ونسبتِها إلى مؤلِّفها، وإن خلت كتبُ التراجم والفهارس من التنصيص عليها، فلوحةُ الغلاف، وإن لم تُصرِّح باسم الرسالة، قد اشتملت على نسبةٍ واضحة للمؤلِّف باللِّسان الفارسي، نصُّها يدلّ دلالةً صريحة على أنّ الرسالة منقولة عن خطِّ قنالي زاده حسن جلبي، وهو توثيقٌ ذاتيٌّ معتبر في باب النِّسبة، ويزداد هذا التوثيقُ قوّةً بما ورد في خاتمة المخطوط من تصريح جليٍّ باسم المؤلِّف واسم رسالته معًا، مقرونًا بتاريخ الفراغ من التأليف، على عادة المصنِّفين في توثيق أعمالهم، وبذلك تتعاضد قرائنُ الغلاف والخاتمة لتعويض سكوت المصادر الخارجيّة، وتُثبت أنّ الرسالة ثابتةُ الاسم، صحيحةُ النِّسبة إلى مؤلِّفها، اعتمادًا على ما

(1) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1/387، 2/1199، ومعجم المؤلفين: 3/213، والبدور المضية في تراجم الحنفية: 6/291، ومعجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، علي الرضا قره بلوط- وأحمد طوران قره بلوط: 2/899.

(2) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: 2/31، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: 2/27-28، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 1/290،

(3) النَّصُّ المحقق: ص: 22.

ورد في المخطوط وهي من أقوى وجوه التوثيق في تحقيق المخطوطات.

ثانيًا: التعريف برسالة (القول الظاهر في أول فاطر) وسبب تأليفها:

أفصح المؤلف في مقدمة رسالته عن سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو خدمة لتفسير البيضاوي، فقال: «أَمَّا بعد: فَهذِهِ رِسَالَةٌ جَمَعْتُهَا خِدْمَةً لِبَعْضِ مَنْ هُوَ عُمْدَةُ فُضَلَاءِ الأَنَامِ، وَفَرْقَدُ عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ، فَرِيدُ دَهْرِهِ، وَوَحِيدُ عَصْرِهِ، لَا زَالَ عَلَمُ عِلْمِهِ مَرْفُوعًا بِالِابْتِدَاءِ، وَبِنَاءُ مَجْدِهِ مَنْصُوبًا بِحِفْظِ الأَعْدَاءِ»[1].

تتناول هذه الرسالةُ تحقيقَ معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وما يتعلّق به من إشكالٍ لغويٍّ ونحويٍّ وبلاغيٍّ دقيق، ولا سيّما في تفسير لفظ (فاطر)، وحقيقة معناه: أهو الشقّ على جهة المجاز، أم الإبداع والاختراع على جهة الحقيقة، وما يترتّب على ذلك من أحكام في الإضافة، وعمل اسم الفاعل، ودلالته الزمانية.

وقد جاءت الرسالةُ في قالبٍ تحقيقيٍّ علميٍّ، صاغه المؤلِّف في معرض الحمدلة والتصدير البلاغي، ثم شرع في بيان المسألة استنادًا إلى أقوال كبار المفسّرين والنحاة، وعلى رأسهم البيضاوي والزمخشري، مع مناقشةٍ دقيقةٍ لأوجه كلامهم، وتعقّب ما يحتمله من مجازٍ عقليٍّ أو حذفٍ وإيصال، وترجيح ما يراه أقرب إلى الطبع السليم والسياق القرآني.

ويعمد المؤلِّف إلى تفصيل المسألة عبر محاور منهجية، من أهمّها: بيان حقيقة لفظ (الفطر) لغةً واستعمالًا، وكونه يُستعمل حقيقةً في معنى الإبداع والاختراع، لا مجرّد الشقّ، مع الاستدلال بكلام أئمّة اللغة، كالجوهري، ونقل أثر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير «فاطر» بمعنى الابتداء، وإثبات أن هذا المعنى مستقلٌّ غير محتاج إلى المجاز.

ومنها: نقد الأوجه المجازية التي سيقت لتفسير الآية، ولا سيما تفسير الفطر بالشّقّ مع إسناده إلى العدم، وبيان ما يَرِدُ عليه من إشكالاتٍ لفظية ومعنوية، وترجيح كون الإبداع هو المعنى المقصود؛ لمناسبته مقام الحمد والتعظيم، بخلاف مطلق الشقّ الذي لا يليق بهذا المقام.

ومنها: تحرير مسألة الإضافة في اسم الفاعل، وبيان الفرق بين الإضافة المعنوية واللفظية، وربط ذلك بدلالة اسم الفاعل على الماضي أو الحال أو الاستقبال أو الاستمرار، مع استحضار القواعد النحوية الدقيقة، والاستشهاد بالآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿جَاعِلِ ٱلَّيْلِ سَكَنًا﴾، وبيان ما وقع للزمخشري من اختلافٍ في تقرير هذه القاعدة بين مواضع تفسيره.

كما ناقش المؤلِّف أقوال العلماء في كون اسم الفاعل إذا أُريد به الاستمرار: هل تكون إضافته محضة أو غير محضة، وهل يعمل أو لا يعمل، وحرّر محلّ النزاع، وبيّن أن الاستمرار يُعتبر باعتبارين: باعتبار الماضي فتكون الإضافة حقيقية، وباعتبار الحال والاستقبال فتكون غير حقيقية، وبذلك يندفع الإشكال ويزول التناقض الظاهر.

فالرسالة في مجموعها تحقيقٌ لغويٌّ ونحويٌّ وبلاغيٌّ رصين، يُعنى بكشف دقائق المعنى في صدر سورة فاطر، ويُبرز دقّة الاستعمال القرآني، ويجمع بين النقل والتحقيق، مع ترجيحٍ مؤسَّسٍ على أصول اللغة والنحو والتفسير، وردٍّ لما لا ينسجم مع السياق ولا مع مقاصد الثناء الإلهي.

(1) النَّصُّ المحقق: ص: 12.

ثانيًا: منهج ابن الحنَّائي ومصادره في الرسالة:

يتجلّى منهج ابن الحنّائي في هذه الرسالة في بناءٍ علميٍّ متماسك يبدأ بتمهيدٍ تقليديٍّ راسخ، يستفتح فيه بحمد الله تعالى وذكر صفاته الدالّة على كمال حكمته في الخلق والتشريع، ثم يربط موضوع الرسالة بسياقه الديني والعلمي من خلال التبجيل للنبي ﷺ وأصحابه، والثناء على علماء الإسلام، بما يُكسب البحث مشروعيته العلمية وامتداده في سلاسل الدرس التفسيري والنحوي.

ثم ينتقل إلى منهج الشرح، فيعمد إلى إيراد أقوال الأئمة، ولا سيما البيضاوي ومن تقدّمه من العلماء، ثم يعقبها بالشرح والتوضيح، كاشفًا عن مرادهم، ومبيّنًا وجوه الدلالة في كلامهم، ويُعنى المؤلف عناية ظاهرة بالتحليل للنصوص، فيبدأ بنقل قول البيضاوي، ثمَّ يُعقِّب على ذلك بقول أحد أصحاب شروح أو حواشي البيضاوي، ثمَّ يبدي قوله بـ(أقول، أوقلت)، من ذلك قوله: « **قَالَ** الْبَيْضَاوِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: «مُبْدِعُهُمَا، مِنَ الْفَطْرِ بِمَعْنَى الشَّقِّ، كَأَنَّهُ شَقُّ الْعَدَمَ بِإِخْرَاجِهِمَا مِنْهُ، وَالإِضَافَةُ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّه بِمَعْنَى الْمَاضِي»، قَالَ بَعْضُ الأَفَاضِلِ الْأَعْلَام، فِي حَلِّ هَذَا الْكَلَام: «قَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ شَقَّ الْعَدَم) بَيَانٌ لِوَجْهِ الْمَجَازِ، يَعْنِي أُطْلِقَ الْمَلْزُومُ وَأُرِيدَ بِهِ اللَّازِمُ؛ فَإِنَّ الإِبْدَاعَ يَلْزَمُ الشَّقَّ» انْتَهَى... أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ الصَّادِقِ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ إِطْلَاقِ الفَطْرِ الَّذِي هُوَ الْمَلْزُومُ، وَإِرَادَةِ اللَّازِمِ الَّذِي هُوَ الإِبْدَاعُ، يَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ كَأَنَّهُ شَقَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْ خَلْقِهِمَا مِنْ كَتْمِ العَدَمِ، بِإِسْنَادِ الشَّقِّ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لَا إِلَى العَدَمِ، حَتَّى يُوَافِقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَتَدَبَّرْ»[1]، وهكذا في سائر الرسالة.

وأما مصادر ابن الحنّائي في رسالته، فيتقدّمها القرآن الكريم بوصفه الأصل الذي تُبنى عليه جميع الاستدلالات اللغوية والنحوية، ثم كتب التفسير واللغة، وفي مقدّمتها تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي، وما أُلّف عليهما من حواشٍ وشروح، كحاشية سعدي جلبي وحاشية الملا خسرو وغيرهما، فضلًا عن كتب اللغة التي يرجع إليها في تقعيد المسائل النحوية وبيان الاشتقاق والمعاني، مثل (الصحاح) للجوهري، وتتنوّع طريقة عزوه إلى هذه المصادر، فتارة يصرّح باسم المؤلف واسم كتابه، كقوله: «قَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ ابْنُ السَّمِينِ الْحَلَبِيُّ، فِي إِعْرَابِ الْفُرْقَانِ الْعَرَبِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى...»[2]، وتارة يذكر اسم المؤلف دون تعيين الكتاب، كما في قوله: «قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى...»[3]، وتارة يكتفي بذكر اسم الكتاب دون نسبةٍ صريحةٍ إلى مؤلفه كما في قوله: «قَالَ صَاحِبُ التَّقْرِيبِ...»[4]، وهو تنوّع يعكس سعة اطلاعه واعتياده أساليب التأليف المعهودة في كتب المتقدمين

ثالثاً: وصفُ الرسالة:

المخطوط محفوظ في مكتبة قصيدة جي سليمان سري بتركيا ضمن مجموع برقم: 675، من: 270-275.

عدد الأوراق: خمسة لوحات، وعدد الأسطر لكل لوحة (21) سطرا، وعدد الكلمات في كل سطر تتراوح بين 14-11 كلمة تقريبًا.

تاريخ النسْخ: يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الأول من سنة: 978هـ.

(1) النَّصُّ المحقق: ص: 13.

(2) النَّصُّ المحقق: ص: 17.

(3) النَّصُّ المحقق: ص: 13.

(4) النَّصُّ المحقق: ص: 17.

اسم الناسخ: المؤلف.

والرسالة منسوبة للمؤلف صريحًا في ورقة العنوان باللغة الفارسية بقوله: «رسالة قنالي زادة حسن جلبي»، كما أنه صرَّح باسمه واسم المخطوط في آخرها فقال: «تَمَّتِ الرِّسَالَةُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى عَمَّ نَوَالُهُ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، تَاسِعِ شَهْرِ مَوْلُودِ النَّبِيِّ، سَنَةَ ثمان وسبعين وتسعمائة، بِيَدِ كَاتِبِ الْأَحْرُفِ وَالسُّطُورِ، الْمُعْتَرِفِ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ، الْخَالِي عَنْ حُلِيِّ الْعُلُومِ وَالْفَضَائِلِ، الْعَبْدِ الْمُفْتَقِرِ إِلَى الْمَلِكِ الْوَلِيِّ، الْحَقِيرِ: حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَامَلَهُمَا اللهُ بِلُطْفِهِ الْجَلِيِّ، وَعَوْنِهِ الْمَلِيِّ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ عُيُوبَهُ، فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، بِالْحَنْطِ وَالْخَلِ، وَالزَّيْغِ وَالزَّلَلِ، وَسَمَّيْتُهَا: بـ(الْقَوْلِ الظَّاهِرِ، فِي أَوَّلِ فَاطِرٍ)».

حالة المخطوط: محفوظٌ في حالة جيّدة جدًّا؛ فلا تظهر فيه ثقوب أو تمزقات أو أوراق ناقصة، ولا سقط فيه ولا طمس.

رابعاً: منهج التحقيق:

1. قمتُ في الحاشية بذكر تراجم الأعلام مع الإشارة إلى المصادر التي نُقلت عنها تلك التراجم.
2. التزمت في الكتب المذكورة في البحث بذكر اسم الكتاب مع مؤلفه فقط، وذكرت في المصادر والمراجع بذكر بطاقة الكتاب كاملة.
3. اعتمدتُ في جميع الأقوال والنقول على توثيقها وردِّها إلى قائليها أو مصادرها الأصلية.
4. اعتمدت على نسخة فريدة وحيدة، وما أشكل عليَّ استعنتُ بالكتب التي نقل عنها المؤلف لفهم العبارة، أو من قرينة لسياق.

خامساً: صور لوحات المخطوط:

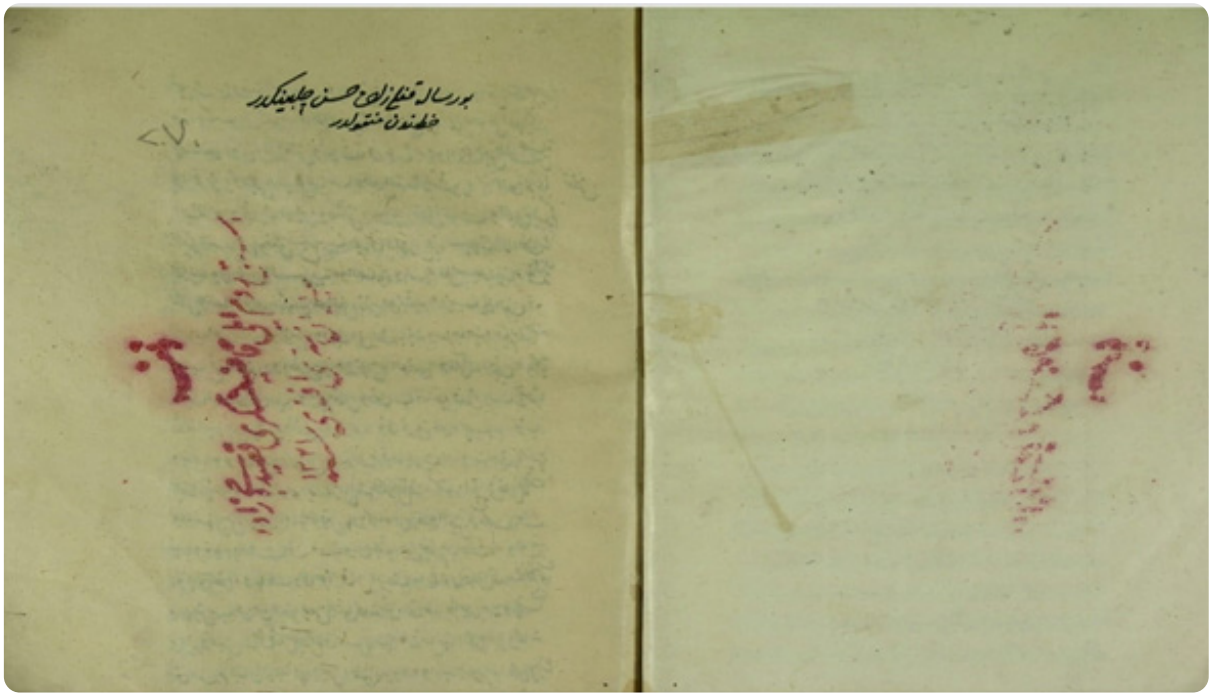

لوحة الغلاف وبرقم (270) من المجموع

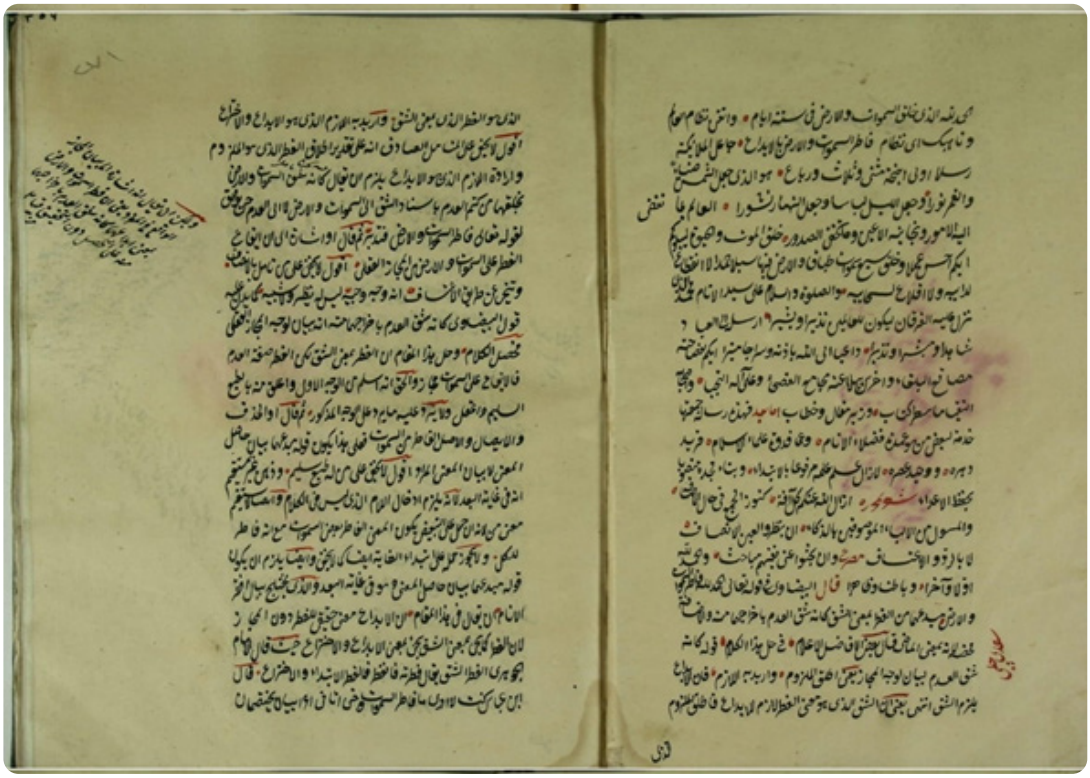

اللوحة الأولى من الرسالة وبرقم (271) من المجموع

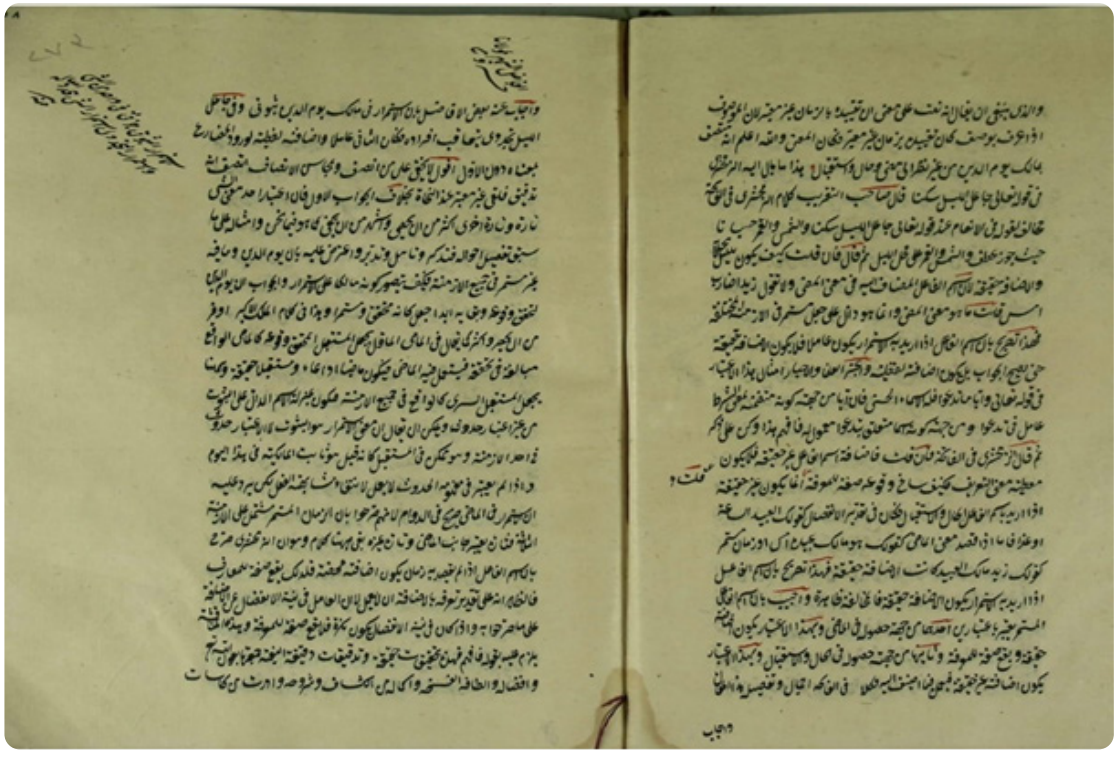

اللوحة الثالثة من الرسالة وبرقم (273) من المجموع

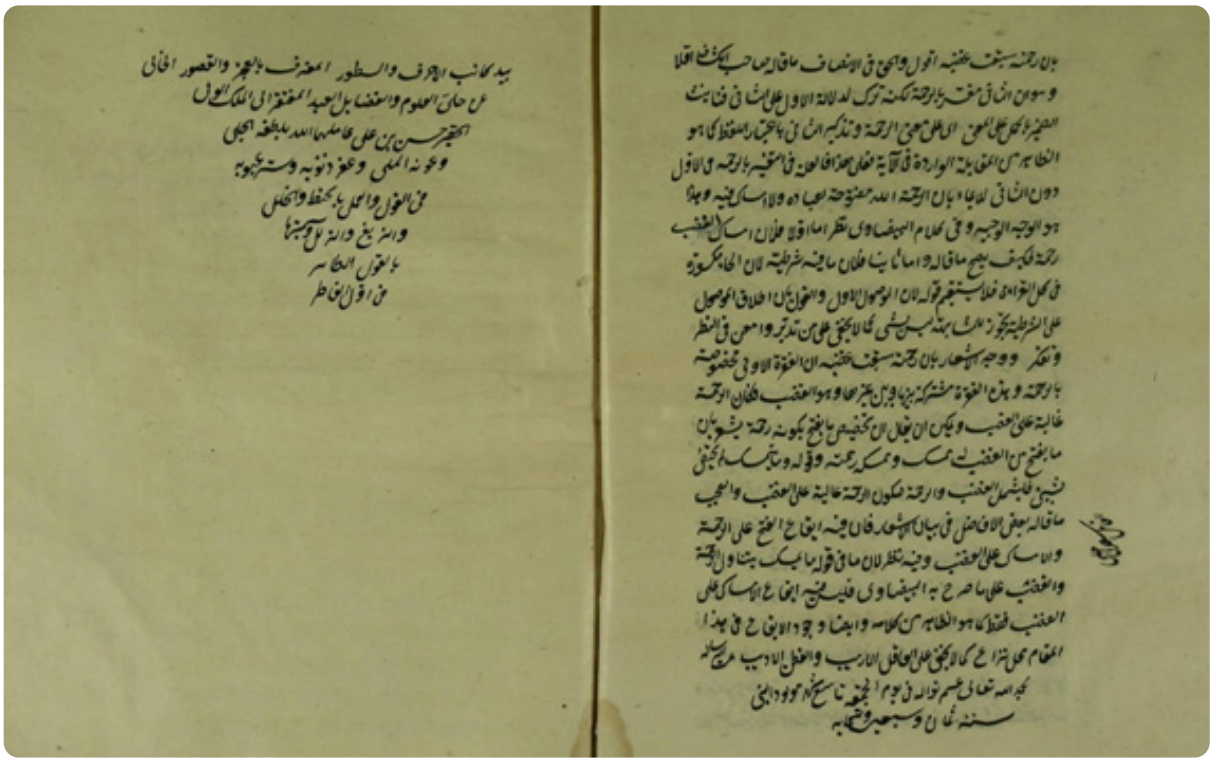

اللوحة الخامسة والأخيرة من الرسالة وبرقم (275) من المجموع

[النَّصُّ المُحقَّق]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَأَتْقَنَ نِظَامَ الْعَالَمِ وَنَاهِيكَ أَيَّ نِظَامٍ، فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالإِبْدَاعِ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا، وَجَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا، الْعَالِمُ بِمَا تُفْضِي إِلَيْهِ الأُمُورُ، وَبِخَائِنَةِ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَخَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَالأَرْضَ فِيهَا سُبُلًا، حَمْدًا لَا انْقِطَاعَ لِدَائِبِهِ، وَلَا إِقْلَاعَ لِسَحَائِبِهِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانَ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا وَبَشِيرًا، أَرْسَلَهُ إِلَى الْعِبَادِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، أَبْكَمَ لِفَصَاحَتِهِ مَصَافِحَ الْبُلَغَاءِ، وَأَخْرَسَ بِبَلَاغَتِهِ مَجَامِعَ الْفُصَحَاءِ، وَعَلَى آلِهِ النُّجَبَاءِ، وَصَحَابَتِهِ النُّقَبَاءِ، مَا سَطَرَ كِتَابٌ، وَزَبَرَ[1] مَقَالٌ، وَخِطَابٌ، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ جَمَعْتُهَا خِدْمَةً لِبَعْضِ مَنْ هُوَ عُمْدَةُ فُضَلَاءِ الأَنَامِ[2]، وَفَرْقَدُ عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ، فَرِيدُ دَهْرِهِ، وَوَحِيدُ عَصْرِهِ، لَا زَالَ عَلَمُ عِلْمِهِ مَرْفُوعًا بِالِابْتِدَاءِ، وَبِنَاءُ مَجْدِهِ مَنْصُوبًا بِحِفْظِ الأَعْدَاءِ، **شِعْرٌ لمحمد**[3]:

---

(1) زبرَ: أي: كتب، يقال: زبرتُ الكتابَ: إذا كتبتُه، والزبور: الكتاب. جمهرة اللغة لابن دريد، مادة (زبر): 308/ 1، وتهذيب اللغة للأزهري، مادة (زبر): 135/ 13.

(2) المقصود هو القاضي البيضاوي.

(3) هو محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي المقرئ المفسر النحوي، إمام كبير، ومن كبار المحقّقين، له تفسير حسن للقرآن، وكتاب علل القراءات، وكتاب

أَزَالَ اللهُ عَنْكُمْ كُلَّ آفَةْ
كُنُونِ الْجَمْعِ فِي حَالِ الإِضَافَةْ[1]

وَالْمَسْؤُولُ مِنَ الأَلْبَاءِ، الْمَوْصُوفِينَ بِالذَّكَاءِ، أَنْ يَنْظُرُوا بِعَيْنِ[2] الإِنْصَافِ، لَا بِالرَّدِّ وَالاِعْتِسَافِ (مَصْرَع)[3]:

وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مُبَاحِثُ[4]

وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ[5] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[6]: «مُبْدِعُهُمَا، مِنَ الْفَطْرِ بِمَعْنَى الشَّقِّ، كَأَنَّهُ شَقَّ الْعَدَمَ بِإِخْرَاجِهِمَا مِنْهُ، وَالإِضَافَةُ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّه بِمَعْنَى الْمَاضِي»[7].

قَالَ بَعْضُ الأَفَاضِلِ[8] الْأَعْلَام، فِي حَلِّ هَذَا الْكَلَام: «قَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ شَقَّ الْعَدَمَ) بَيَانٌ لِوَجْهِ الْمَجَازِ، يَعْنِي أُطْلِقَ الْمَلْزُومُ وَأُرِيدَ بِهِ اللَّازِمُ؛ فَإِنَّ الإِبْدَاعَ يَلْزَمُ الشَّقَّ»[9]. انْتَهَى.

يَعْنِي أَنَّ الشَّقَّ الَّذِي هُوَ مَعْنَى الْفَطْرِ لَازِمٌ للإِبْدَاعِ، فَأُطْلِقَ الْمَلْزُومُ [و/ 1] الَّذِي هُوَ الفَطْرُ بِمَعْنَى الشَّقِّ، وَأُرِيدَ بِهِ اللَّازِمُ الَّذِي هُوَ الإِبْدَاعُ وَالاِخْتِرَاعُ.

أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ الصَّادِقِ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ إِطْلَاقِ الفَطْرِ الَّذِي هُوَ الْمَلْزُومُ، وَإِرَادَةِ اللَّازِمِ الَّذِي هُوَ الإِبْدَاعُ، يَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ كَأَنَّهُ شَقَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْ خَلْقِهِمَا مِنْ كَتْمِ العَدَمِ، بِإِسْنَادِ الشَّقِّ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لَا إِلَى العَدَمِ، حَتَّى يُوَافِقَ

في الوقف والابتداء، ممَّا يدلُّ على تبحُّره، توفي سنة 560هـ. ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي: 147/ 3، غاية النهاية في طبقات القراء للجزري: 1103/ 3.

(1) البيت من بحر الوافر، وهو لمحمد بن طيفور المترجَمُ له آنفًا، والبيت المذكور في المتن مأخوذ من بيتين، الشطر من بيت، والعجز من بيت، والبيتان بتمامهما:

أَزَالَ اللهُ عَنْكُمْ كُلَّ آفَةْ
وسدَّ عليكمُ سبُلَ المخافهْ
ولا زالت نوائبكُمْ لديكُمْ
كُنُونِ الْجَمْعِ فِي حَالِ الإِضَافَةْ

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي: 153/ 3، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص102.

(2) في المخطوط (لعين)، والصَّواب ما أثبتناه.

(3) وهو البيت الذي نصفه مثل آخره، أو هما البيت الذي شطره مثل عجزه في الوزن والقافية. ينظر: الأوائل لأبي هلال العسكري: ص381.

(4) هذا عجز بيت من بحر الطويل، للشاعر أبي دلامة الأسدي، واسمه: زَنْد بن الجون (ت 161هـ)، وتمام البيت:

إِنِ الناسُ غَطّوني تَغَطَّيْتُ عنهُمُ
وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مُبَاحِثُ

ديوان أبي دُلامة الأسدي: ص: 37.

(5) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، القاضي المفسر العلَّامة، ولد في المدينة البيضاء (بفارس -قرب شيراز)، كَانَ إِمَامًا مبرزا نظَّارا صَالحا متعبدا زاهدا، ولي قضاء شيراز مدة، فرحل إلى تبريز وولي القضاء فيها وتوفي فيها سنة 685هـ. ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي، 206/ 17، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 157/ 8.

(6) سورة فاطر، من الآية: 1.

(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 253/ 4.

(8) علَّق المؤلف في الحاشية: (سعدي جلبي)، وهو: سعد الله بن عيسى بن أمير خان، الشهير بـ(سعدي جلبي) أو (سعدي أفندي)، القاض الحنفي، من علماء الروم، أصله من ولاية قسطموني، منشؤه ووفاته في القسطنطينية، عمل في التدريس وولي القضاء بها مدة، ثم تولى الإفتاء الى أواخر حياته، توفي سنة 945هـ. ينظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاشْكُبْري زَادَهْ: ص265، وسلَّم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة: 128/ 2.

(9) حاشية سعدي جلبي (ت 945هـ) على تفسير البيضاوي، من سورة الروم إلى نهاية سورة يس: ص 160.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فَتَدَبَّرْ.

ثُمَّ قَالَ: «أَوْ إِشَارَةٌ إِلَى إِيقَاعِ الفَطْرِ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنَ المَجَازِ العَقْلِيِّ»[1].

أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلَ بِالإِنْصَافِ، وَتَجَنَّبَ عَنْ طَرِيقِ الِاعْتِسَافِ، أَنَّهُ وَجْهٌ وَجِيهٌ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ البَيْضَاوِيِّ: «كَأَنَّهُ شَقَّ العَدَمَ بِإِخْرَاجِهِمَا مِنْهُ»[2]، إِنَّهُ بَيَانٌ لِوَجْهِ المَجَازِ العَقْلِيِّ، فَحَصَلَ الكَلَامُ.

وَحَلُّ هَذَا المَقَامِ أَنَّ الفَطْرَ بِمَعْنَى الشَّقِّ، لَكِنَّ الفَطْرَ صِفَةُ العَدَمِ، فَالإِيقَاعُ عَلَى السَّمَاوَاتِ مَجَازٌ، وَالحَقُّ أَنَّهُ أَسْلَمُ مِنَ الوَجْهِ الأَوَّلِ، وَأَعْلَقُ مِنْهُ بِالطَّبْعِ السَّلِيمِ وَأَعْقَلُ، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ مَا يُرَدُّ عَلَى الوَجْهِ المَذْكُورِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَوِ الحَذْفُ وَالإِيصَالُ، وَالأَصْلُ: الفَاطِرُ مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ (مُبْدِعُهُمَا) بَيَانَ حَاصِلِ المَعْنَى، لَا بَيَانَ المَعْنَى المُرَادِ»[3].

أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ طَبْعٌ سَلِيمٌ، وَذِهْنٌ غَيْرُ سَقِيمٍ، أَنَّهُ فِي غَايَةِ البُعْدِ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ إِدْخَالُ اللَّامِ الَّذِي لَيْسَ فِي الكَلَامِ، وَأَيْضًا لَا يَسْتَقِيمُ مَعْنَى (مِنْ)؛ لِأَنَّهُ إِنْ حُمِلَ عَلَى التَّبْعِيضِ يَكُونُ المَعْنَى: الفَاطِرُ بَعْضَ السَّمَاوَاتِ، مَعَ أَنَّهُ فَاطِرٌ لِلْكُلِّ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى ابْتِدَاءِ الغَايَةِ أَيْضًا كَمَا لَا يَخْفَى.

وَأَيْضًا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ (مُبْدِعُهُمَا) بَيَانَ حَاصِلِ المَعْنَى، وَهُوَ فِي غَايَةِ البُعْدِ.

وَالَّذِي يَخْتَلِجُ بِبَالِ أَفْقَرِ الأَنَامِ، أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا المَقَامِ: إِنَّ الإِبْدَاعَ مَعْنًى حَقِيقِيٌّ لِلْفَطْرِ دُونَ المَجَازِ؛ لِأَنَّ الفَطْرَ كَمَا يَجِيءُ بِمَعْنَى الشَّقِّ يَجِيءُ بِمَعْنَى الإِبْدَاعِ وَالِاخْتِرَاعِ، حَيْثُ قَالَ الإِمَامُ الجَوْهَرِيُّ[4]: الفَطْرُ الشَّقُّ، يُقَالُ: فَطَرْتُهُ فَانْفَطَرَ، فَالفَطْرُ الِابْتِدَاءُ وَالِاخْتِرَاعُ[5].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[6]: «كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ﴾ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ [ظ/ 1] فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا أَنَا فَطَرْتُهَا»[7]، أَيْ أَنَا ابْتَدَأْتُهَا، وَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ دِرَايَةٌ، وَفِي عِلْمِ اللُّغَةِ تَدَرُّبٌ وَرُؤْيَةٌ، أَنَّهُ مَعْنًى مُسْتَقِلٌّ غَيْرُ مَعْنَى الشَّقِّ، وَقَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ[8] صَرِيحٌ فِيمَا تَلَوْنَا عَلَيْكَ، حَيْثُ قَالَ:

---

(1) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص161.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 253/ 4.

(3) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص161.

(4) هو إسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري، الإمام اللغوي، وهو أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، وخطه في الكتابة بارع، أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، ثم أقام في نيسابور، وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس ليشاهدوه، فسقط إلى الأرض قتيلا سنة 393ه. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري: ص252، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي: 656/ 2.

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة (فطر): 781/ 2.

(6) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو العباس حبر الامة، وترجمان القرآن، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث، وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68ه. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: 1699/ 3، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: 291/ 3.

(7) الكنى والأسماء للدولابي، رقم الحديث (447): 252/ 1، وشعب الإيمان للبيهقي، رقم الحديث (1682): 258/ 2.
والأثر إسناده حسن. ينظر: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي للمناوي: 602/ 2.

(8) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، جار الله، أبو القاسم الزمخشريّ، كان وَاسع العلم، كثير الفضل، غَايَة فِي الذكاء وجودة القريحة متفننا فِي كل علم، معتزلي المذهب مجاهرا، ولد في زمخشر (من

«مُبْتَدِئِهِمَا وَمُخْتَرِعِهِمَا»[1]، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلْمَجَازِ وَوَجْهِهِ[2].

قَالَ بَعْضُ الْأَفَاضِلِ[3]: «وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ، فَيَكُونُ إِشَارَةً إِلَى نِعْمَتَيِ الْإِمْطَارِ وَالْإِنْبَاتِ، وَإِلَى إِنْزَالِ الْمَلَكِ الَّذِي بِهِ تَجِيءُ الْأَرْوَاحُ»[4].

أَقُولُ: وَالْحَقُّ أَنَّهُ بَعِيدٌ غَايَةَ الْبُعْدِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْفَطْرِ هَهُنَا مَعْنَى الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ، وَالْإِيجَادِ وَالِاخْتِرَاعِ، حَتَّى يُنَاسِبَ مَقَامَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَمُطْلَقُ الشَّقِّ لَا يُنَاسِبُ التَّعْظِيمَ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الطَّبْعِ السَّلِيمِ.

وَأَيْضًا فِي كَلَامِهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْأَمْطَارُ بِالنَّظَرِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَالْإِنْبَاتُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَرْضِ، يُرَدُّ عَلَيْهِ أَنَّ الْمَطَرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ لَا إِلَى السَّمَاءِ، خُصُوصًا مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَا فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ الْإِمْطَارُ وَالْإِنْبَاتُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَرْضِ، وَإِنْزَالُ الْمَلَكِ بِالنَّظَرِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، يُرَدُّ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ مِثَالِ نِعْمَةِ الْأَرْضِ عَلَى السَّمَاوَاتِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ، وَأَيْضًا كَوْنُ الْإِمْطَارِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَرْضِ لَيْسَ بِجَدِيرٍ.

قَالَ: «وَالْإِضَافَةُ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَاضِي»[5].

يَعْنِي أَنَّ إِضَافَةَ (فَاطِرٍ) إِلَى (السَّمَاوَاتِ) إِضَافَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَاضِي، وَشَرْطُ إِضَافَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ إِضَافَةً مَعْنَوِيَّةً عَدَمُ كَوْنِهِ بِمَعْنَى الْمَاضِي[6].

وَاعْلَمْ أَنَّ تَحْقِيقَ الْكَلَامِ، وَتَبْيِينَ هَذَا الْمَقَامِ، وَرَفْعَ الْقِنَاعِ وَاللِّثَامِ، عَنْ وُجُوهِ خَوَافِي الْمَعَانِي وَالْمَرَامِ، يَسْتَدْعِي بَيَانَ بَعْضِ الْمُقَدِّمَاتِ النَّحْوِيَّةِ، وَالْمَعَاقِدِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ طُلَّابِ الْأَنَامِ، فَلْنَعْطِفْ عَلَيْهِ عِنَانَ الْأَقْلَامِ، بِبَسْطِ الْكَلَامِ وَتَحْقِيقِهِ، بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، فَنَقُولُ:

اعْلَمْ أَنَّ الْإِضَافَةَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مَعْنَوِيَّةٌ، وَلَفْظِيَّةٌ[7]، وَالْمَعْنَوِيَّةُ أَيْضًا عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَلَّا يَكُونَ الْمُضَافُ صِفَةً، نَحْوُ: غُلَامُ زَيْدٍ، أَوْ أَنْ يَكُونَ صِفَةً، لَكِنْ لَا يَكُونَ مُضَافَةً إِلَى مَعْمُولِهَا، نَحْوُ: اللهُ [و/ 2] خَالِقُ السَّمَاوَاتِ، وَاللَّفْظِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ صِفَةً مُضَافَةً إِلَى مَعْمُولِهَا[8].

وَأَمَّا اسْمُ الْفَاعِلِ إِذَا [كَانَ][9] بِمَعْنَى الْمَاضِي يَكُونُ إِضَافَتُهُ مَعْنَوِيَّةً؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْمَلُ، فَلَا يَكُونُ لَهُ مَعْمُولٌ حَتَّى يُضَافَ إِلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، يَكُونُ لَفْظِيَّةً، وَالسِّرُّ فِيهِ: أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ حِينَئِذٍ[10] يَتِمُّ مُشَابَهَتُهُ لِلْفِعْلِ لَفْظًا وَمَعْنًى: أَمَّا لَفْظًا فَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ مُشْتَقٌّ

قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي بها سنة: 538 هـ. ينظر: معجم الأدباء للحموي: 2687/ 6، وبغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: 279/ 2.

(1) نصُّ الزَّمخشري هو: «مبتدئها ومبتدعها». تفسير الكشاف للزمخشري: 595/ 3.

(2) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري: 595/ 3.

(3) علَّق المؤلف في الحاشية: (سعدي جلبي).

(4) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص164.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 253/ 4. وقد سبق الإمامُ أبو القاسم الكرمانيُّ البيضاويَّ إلى هذا القول فقال: «و(جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ) مجرور بالعطف على الصفة، والإضافة محضة؛ لأنَّه بمعنى الماضي». غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني: 943/ 2.

(6) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام: ص423، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 45/ 3.

(7) ينظر: البديع في علم العربية لابن الأثير: 43/ 2.

(8) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش: 139/ 2، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ص274.

(9) زيادة من المحقِّق يقتضيها السياق.

(10) رمز المؤلف لهذه الكلمة بحرف (ح)، ومعناها حينئذٍ.

مِنَ الْمُضَارِعِ، أَمَّا أَنَّه مَعْنًى فَلِأَنَّهُ[1] بِمَعْنَى الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْمَاضِي، فَالْمُشَابَهَةُ فَقَطْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِضَافَةَ اسْمِ الْفَاعِلِ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْمَاضِي مَحْضَةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[2]؛ لِأَنَّ (فَاطِرَ) وَ(جَاعِلَ) صِفَتَانِ لِلْمُعَرَّفِ، وَهُوَ (اللهُ)، هَذَا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَلِأَنَّ مُلَابَسَةَ الْمُضَافِ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ قَدْ حَصَلَتْ فِي الْمَاضِي وَاشْتَهَرَتْ، نَحْوُ: ضَارِبُ زَيْدًا أَمْسِ، فَيَصِحُّ أَنْ يَتَخَصَّصَ الْمُضَافُ بِهِ، كَتَخَصِيصِ الْغُلَامِ بِزَيْدٍ فِي: (غُلَامِ زَيْدٍ) حِينَ اشْتَهَرَ لِمَلْكِيَّتِهِ، وَأَمَّا الْحَالُ فَلَمْ يَتِمَّ حُصُولُهُ، وَالْمُسْتَقْبَلُ مُتَرَقَّبٌ، فَلَمْ يَشْهَدْ فِيهِمَا مُلَابَسَةُ الْمُضَافِ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَتَعَيَّنُ الْمُضَافُ أَوْ يَتَخَصَّصُ بِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الِاسْتِمْرَارِ الشَّامِلِ لِلْمَاضِي وَالْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ فَيَجُوزُ[3] أَنْ يَكُونَ إِضَافَتُهُ مَحْضَةً، وَأَلَّا يَكُونَ كَذَلِكَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى الْمُضَارِعِ، إِلَّا أَنَّ الِاسْتِمْرَارَ مُلَابَسَةُ الْمُضَافِ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ تَصْحِيحُ تَعَيُّنِهِ بِهِ أَوْ تَخَصُّصِهِ، فَبِالنَّظَرِ إِلَى الْمَاضِي يَكُونُ مَحْضَةً، وَبِالنَّظَرِ إِلَى غَيْرِهِ يَكُونُ غَيْرَ مَحْضَةٍ، فَافْهَمْ.

قَالَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ ابْنُ السَّمِينِ الْحَلَبِيُّ[4]، فِي إِعْرَابِ الْفُرْقَانِ الْعَرَبِيِّ[5]، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[6]: كَوْنُ (مَلِكٍ) نَعْتًا للهِ ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّهُ مَعْرِفَةٌ بِالْإِضَافَةِ، وَأَمَّا (مَالِكٌ)[7]، فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ مَعْنَى الْمُضِيِّ، فَجَعْلُهُ نَعْتًا أَيْضًا وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ مَحْضَةٌ، فَيَتَعَرَّفُ بِهَا، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْحَالُ وَالِاسْتِقْبَالُ، يَكُونُ غَيْرَ مَحْضَةٍ، فَلَا يَتَعَرَّفُ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَعَرَّفْ، فَلَا يَكُونُ نَعْتًا لِمَعْرِفَةٍ، لِلُزُومِ اشْتِرَاطِ الْمُوَافَقَةِ تَعْرِيفًا وَتَنْكِيرًا، وَإِمَّا أَنْ يُجْعَلَ بَدَلًا، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ الْبَدَلَ بِالْمُشْتَقَّاتِ نَادِرٌ [ظ/ 2]، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ نَعْتٌ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ تَقْيِيدَهُ بِالزَّمَانِ غَيْرُ مُقَيَّدٍ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُوفَ إِذَا عُرِّفَ بِوَصْفٍ كَانَ تَقْيِيدُهُ بِزَمَانٍ غَيْرِ مُعْتَبَرٍ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[8] مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَضِيٍّ، وَحَالٍ، وَاسْتِقْبَالٍ، هَذَا مَا مَالَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ[9] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ جَاعِلِ ٱلَّيْلَ سَكَنًا [10]﴾[11].

قَالَ صَاحِبُ التَّقْرِيبِ[12]: كَلَامُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي

(1) في المخطوط (لأنَّه).
(2) سورة فاطر، من الآية: 1.
(3) في المخطوط (يجوز).
(4) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي، المفسر العالم بالعربية والقراءات، لزم أبا حيَّان حتى فاق أقرانه، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة وتوفي فيها سنة 756هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: 402/ 1، وبغية الوعاة للسيوطي: 402/ 1.
(5) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: 50/ 1.
(6) سورة الفاتحة، الآية: 4.
(7) في المخطوط: (وأمالك).
(8) سورة الفاتحة، الآية: 4.
(9) ينظر: تفسير الكشاف: 50/ 2.
(10) سورة الأنعام، من الآية: 96.
(11) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو جعفر: (وجاعل الليل)، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: (وجعل الليلَ). ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص263، المبسوط لابن مِهْران: ص199.
(12) لم أهتدِ إلى معرفة صاحب التقريب، وقد نقل عنه الطِّيبي كثيرًا جدًّا في حاشيته على الكشَّاف، وزعم بعضهم أنَّه صاحب كتاب التقريب في التفسير، وهو الشيخ الإمام المفسِّر قطب الدين محمد بن مسعود بن محمود بن تاج الدين السيرافي الشيرازي (ت 721هـ)، وقد طُبِع هذا الكتاب حديثًا في الدَّار الشامية-

(الْفَاتِحَةِ) مُخَالِفٌ لِقَوْلِهِ فِي (الْأَنْعَامِ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاعِلِ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾[1]، حَيْثُ جَوَّزَ عَطْفَ (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) عَلَى مَحَلِّ (اللَّيْلِ)، «ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ لِـ(اللَّيْلِ) مَحَلًّا وَالْإِضَافَةُ حَقِيقِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى الْمُضِيِّ، وَلَا تَقُولُ: زَيْدًا ضَارِبُ أَمْسِ؟ قُلْتُ: مَا هُوَ مَعْنَى الْمُضِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ دَالٌّ عَلَى جَعْلٍ مُسْتَمِرٍّ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمُخْتَلِفَةِ»[2].

فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الِاسْتِمْرَارُ يَكُونُ عَامِلًا، فَلَا يَكُونُ الْإِضَافَةُ حَقِيقِيَّةً؛ حَتَّى يَصِحَّ الْجَوَابُ، بَلْ يَكُونُ إِضَافَتُهُ لَفْظِيَّةً، واعْتَبَرَ الْعُلَمَاءُ وَالْأَحْبَارُ، أَمْثِلَةً لِهَذَا الِاعْتِبَارِ، فِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، فَإِنَّ (أَيًّا) مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مُتَضَمِّنةً مَعْنَى الشَّرْطِ عَامِلٌ فِي (تَدْعُوا)، وَمِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ اسْمًا مُتَعَلِّقًا بِـ(تَدْعُوا) مَعْمُولٌ لَهُ، فَافْهَمْ هَذَا وَكُنْ عَلَى ذِكْرٍ.

ثُمَّ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي (الْفَاتِحَةِ): «فَإِنْ قُلْتَ: فَإِضَافَةُ اسْمِ الْفَاعِلِ غَيْرُ حَقِيقِيَّةٍ، فَلَا تَكُونُ مُعْطِيَةً مَعْنَى التَّعْرِيفِ، فَكَيْفَ سَاغَ وُقُوعُهَا صِفَةً لِلْمَعْرِفَةِ؟ قُلْتُ: إِنَّمَا يَكُونُ غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ إِذَا أُرِيدَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ الْحَالُ وَالِاسْتِقْبَالُ، فَكَانَ فِي تَقْدِيرِ الِانْفِصَالِ، كَقَوْلِكَ: الْعَبِيدُ السَّاعَةَ، أَوْ غَدًا، فَأَمَّا إِذَا قُصِدَ مَعْنَى الْمَاضِي، كَقَوْلِكَ: هو مَالِكُ عَبِيدِهِ أَمْسِ، أَوْ زَمَانٌ مُسْتَمِرٌّ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ مَالِكُ الْعَبِيدِ، كَانَتِ الْإِضَافَةُ حَقِيقِيَّةً»[4]، فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الِاسْتِمْرَارُ يَكُونُ الإِضَافَةُ حَقِيقِيَّةً، فَالْمُخَالَفَةُ ظَاهِرَةٌ.

وَأُجِيبَ: بِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ الْمُسْتَمِرَّ يُعْتَبَرُ بِاعْتِبَارَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مِنْ جِهَةِ حُصُولِهِ فِي الْمَاضِي، وَبِهَذَا الِاعْتِبَارِ تَكُونُ إِضَافَتُهُ حَقِيقِيَّةً، وَيَقَعُ صِفَةً لِلْمَعْرِفَةِ.

وَثَانِيهِمَا[5]: مِنْ جِهَةِ حُصُولِهِ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَبِهَذَا الِاعْتِبَارِ يَكُونُ إِضَافَتُهُ غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ، فَيَعْمَلُ فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ[6].

فَكِلَامُهُ[7] فِي الْفَاتِحَةِ إِجْمَالٌ، وَتَفْصِيلُهُ هَذَا الْمَقَالُ [و/ 3] وَأَجَابَ عَنْهُ بَعْضُ الأَفَاضِلِ[8] بِأَنَّ الاسْتِمْرَارُ فِي (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ثُبُوتِيٌّ، وَفِي (جَاعِلِ اللَّيْلِ) تَجَدُّدِيٌّ يَتَعَاقَبُ أَفْرَادُهُ، فَكَانَ التَّنَافِي عَامِلًا، وَإِضَافَتُهُ لَفْظِيَّةٌ لِوُرُودِ الْمُضَارِعِ بِمَعْنَاهُ دُونَ الأَوَّلِ[9].

أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ أَنْصَفَ، وَبِمَحَاسِنِ الإِنْصَافِ اتَّصَفَ، أَنَّهُ تَدْقِيقٌ فَلَقِيٌ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ عِنْدَ

إسطنبول، كما ذهب محقِّق الكتاب أيضًا إلى أنَّ صاحب التقريب هو نفسه الذي نقل عنه الطِّيبي، وهو سهو واضح، فبعد وقوفي على كتاب التقريب في التفسير لم أعثر على النصوص التي نقلها الطِّيبي في هذا الكتاب، ولم أعثر أيضًا على النَّصِّ في هذا التحقيق

(1) سورة الأنعام، من الآية: 96.

(2) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري: 50/ 2.

(3) سورة الإسراء، من الآية: 110.

(4) تفسير الكشاف للزمخشري: 28/ 1.

(5) في المخطوط: (وثانيها)، والصواب ما أثبتناه لموافقته قوله (أحدهما).

(6) الكليات للكفوي: ص132.

(7) في المخطوط: (فكلا)، وباقي الكلمة مطموس.

(8) علَّق المؤلف في الحاشية: (الفاضل الشهير بمولانا خسرو)، وهو محمد بن فرامُرز بن علي، المعروف بمُلَّا أو منلا أو المولى خُسْرُو، عالم بفقه الحنفية والأصول، رومي الأصل، وقيل: كان أبوه من أمراء الأكراد، أسلم أبوه ونشأ هو مسلما، فتبحَّر في علوم المعقول والمنقول، وتولَّى التدريس وولي قضاء القسطنطينية وصار مفتيا بالتخت السلطاني، توفي بالقسطنطينية سنة 885هـ. ينظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاشكبري زاده: ص70، وكتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار للكفوي: 208/ 4.

(9) حاشية الملاَّ خسرو على تفسير الإمام البيضاوي: 260/ 2.

النُّحَاةِ، بِخِلَافِ الْجَوَابِ الأَوَّلِ، فَإِنَّ اعْتِبَارَ أَحَدِ معنى الشَّيْءِ تَارَةً، وَتَارَةً أُخْرَى، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى، كَمَا هُوَ فِيمَا نَحْنُ وأَمْثَالِهِ، عَلَى مَا سَبَقَ تَفْصِيلُ أَحْوَالِهِ، فَتَذَكَّرْ وَتَأَمَّلْ وَتَدَبَّرْ.

وَاعْتُرِضَ عَلَيْهِ بِأَنَّ (يَوْمَ الدِّينِ) وَمَا فِيهِ غَيْرُ مُسْتَمِرٍّ فِي جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ كونُهُ مَالِكًا عَلَى الاسْتِمْرَارِ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ (يَوْمَ الدِّينِ) لِتَحَقُّقِ وُقُوعِهِ وَبَقَائِهِ أَبَدًا جُعِلَ كَأَنَّهُ مُحَقَّقًا ومُسْتَمِرًّا، وَهَذَا فِي كَلَامِ الْمَلِكِ الأَكْبَرِ، أَوْفَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ وَأَكْثَرُ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي الْمُؤَوَّلِ بِجَعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُحَقَّقِ وُقُوعِهِ كالْمَاضِي الْوَاقِعِ مُبَالَغَةً فِي تَحَقُّقِهِ، فَيُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْمَاضِي فَيَكُونُ مَاضِيًا، ادِّعَاءً، أَوْ مُسْتَقْبَلًا حَقِيقَةً، وَهَهُنَا يُجْعَلُ الْمُسْتَقْبَلُ السَّرِيُّ الْوَاقِعِ فِي جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الاِسْمِ الدَّالِّ عَلَى الثُّبُوتِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ حُدُوثٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَعْنَى الاسْتِمْرَارِ هُوَ الثُّبُوتُ لَا الاعْتِبَارُ حُدُوثٍ فِي أَحَدِ الأَزْمِنَةِ، وَهُوَ مُمْكِنٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هُوَ ثَابِتُ الْمَالِكِيَّةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَإِذَا لَمْ يُعْتَبَرْ فِي مَفْهُومِهِ الْحُدُوثُ لَا يَعْمَلُ؛ لِانْتِفَاءِ مُشَابَهَةِ الْفِعْلِ، لَكِنْ يُرَدُّ عَلَيْهِ أَنَّ الاسْتِمْرَارَ فِي الْمَاضِي صَرِيحٌ فِي الدَّوَامِ؛ لِأَنَّهُمْ صَرَّحُوا بِأَنَّ الزَّمَانَ الْمُسْتَمِرَّ مُشْتَمِلٌ عَلَى الأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَتَارَةً يُعْتَبَرُ جَانِبُ الْمَاضِي، وَتَارَةً غَيْرُهُ.

بَقِيَ هَهُنَا كَلَامٌ: وَهُوَ أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ صَرَّحَ بِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ زَمَانٌ يَكُونُ إِضَافَتُهُ مَحْضَةً، فَذَلِكَ يَقَعُ صِفَةً لِلْمَعَارِفِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ تَعَرُّفِهِ بِالإِضَافَةِ أَلَّا يَعْمَلَ، لَا أَنَّ الْعَامِلَ فِي نِيَّةِ الاِنْفِصَالِ عَنِ الإِضَافَةِ عَلَى مَا صَرَّحُوا بِهِ، وَإِذَا كَانَ فِي نِيَّةِ الاِنْفِصَالِ يَكُونُ نَكِرَةً، فَلَا يَقَعُ صِفَةً لِلْمَعْرِفَةِ، وَهَذِهِ الْمُنَاقَشَةُ يُلْزَمُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: فَافْهَمْ، فَهَذِهِ تَحْقِيقَاتٌ حَقِيقَةٌ، وَتَدْقِيقَاتٌ دَقِيقَةٌ أَنِيقَةٌ، جَمَعْتُهَا بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَأَفْضَالِهِ، وَأَلْطَافِهِ الفَسِحَةِ وَإِكْمَالِهِ، مِنَ الْكَشَّافِ وَشُرُوحِهِ، وَأَدَرْتُ مِنَ كَاسَاتِ [ظ/ 3] غَبُوقِهِ وَصَبُوحِهِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الكُتُبِ وَالأَسْفَارِ، وَنَتَائِجِ الأَفْكَارِ.

[وَقَالَ][1] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ «وَسَائِطَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، يُبَلِّغُونَ إِلَيْهِمْ رِسَالَاتِهِ بِالْوَحْيِ وَالإِلْهَامِ، وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ»[2].

مِنْ دِقَّةِ الظَّاهِرِ أَنَّ (بِالْوَحْيِ) مُتَعَلِّقٌ بِالإِبْلَاغِ، وَالْمُرَادُ بِالإِلْهَامِ: مَا يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَالْمُرَادُ بِالرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ أَيْضًا: مَا كَانَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ؛ لِأَنَّ الْمَلَكَ مُوَكَّلٌ عَلَى الرُّؤْيَا، حَيْثُ قَالَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ، مِنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ: «إِنَّ للهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرُّؤْيَا، يُسَمَّى الرُّوحُ»[3]، وَهُوَ دُونَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ صُوَرِ الأَجْسَادِ، الَّتِي يُدْرِكُ النَّائِمُ فِيهَا نَفْسَهُ وَغَيْرَه، وَصُوَرِ مَا يَحْدُثُ مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ مِنَ الأَكْوَانِ، فَإِذَا نَامَ الإِنْسَانُ، أَوْ كَانَ صَاحِبُ غَيْبَةٍ أَوْ فَنَاءٍ أَوْ قُوَّةِ إِدْرَاكٍ لَا تَحْجُبُهُ الْمَحْسُوسَاتُ فِي يَقَظَتِهِ عَنْ إِدْرَاكِ مَا بِيَدِ هَذَا الْمَلَكِ مِنَ الصُّوَرِ، فَيُدْرِكُ هَذَا الشَّخْصُ بِقُوَّتِهِ فِي يَقَظَتِهِ مَا يُدْرِكُهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ

---

(1) زيادة من المحقِّق، وفي المخطوط طمس في هذا الموضع، وإنَّما عبَّرتُ بقوله (قال) -أي البيضاوي-؛ لأنَّ هذا من منهج المؤلِّف أنَّه ينقل نصَّ البيضاوي ثمَّ يعلِّق عليه.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 4/ 253، وفي تفسير البيضاوي: (الصادقة) بدل (الصالحة).

(3) وفي رواية: «إن ملكاً في الهواء يُقَالُ لَهُ: الرها، وكل بالرؤيا». أخبار القضاة للقاضي وكيع: 2/ 90، المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي: 7/ 276.
والحديث إسناده ضعيف جدًّا؛ لأنَّ فيه: إسماعيل بن مسلم المكي، أبو إسحاق، ضعيف يخطئ في الحديث، وقيل: أجمعوا على ضعفه. ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي: 1/ 454.

اللَّطِيفَةَ الإِنْسَانِيَّةَ تَنْتَقِلُ[1] مِنْ حَضْرَةِ الْمَحْسُوسَاتِ، إِلَى حَضْرَةِ الْخَيَالِ الْمُتَّصِلِ بِهَا، الَّذِي مَحَلُّهُ الدِّمَاغُ، فَيَفِيضُ عَلَيْهَا ذَلِكَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالصُّوَرِ[2]، مِنَ الْخَيَالِ الْمُنْفَصِلِ مِنَ الآذَانِ، مَا يَشَاءُ الْحَقُّ إِنْ يُرِيدَ مِنَ الْمَعَانِي، مُتَّحِدَةً مُتَجَسِّدةً فِي الصُّوَرِ الَّتِي بِيَدِ هَذَا الْمَلَكِ[3]، وَلَوْلَا مَخَافَةُ الإِطْنَابِ، وَمَلَالَةُ الإِسْهَابِ، لَأَرَيْنَاكَ أَمَّ الرُّؤْيَا وَالْمَنَامِ، وَتَمَيُّزَ الصَّادِقَةِ مِنَ الأَضْغَاثِ وَالأَحْلَامِ.

وَالأَوْلَى أَنْ يُحْذَفَ قَوْلُهُ: (وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ)، وَيُقَالَ: وَسَائِطُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَأَنْبِيَائِهِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، لِئَلَّا يُفَوِّتَ حُسْنَ الْمُقَابَلَةِ، وَأَيْضًا: إِنَّمَا أَخَّرَ الْبَيْضَاوِيُّ هَذَا الْوَجْهَ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ (الرُّسُلِ) فِي الآيَةِ مَا كَانَ وَاسِطَةً ظَاهِرَةً، وَظُهُورُ الرُّسُلِ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ لَيْسَ بِظَاهِرٍ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَلَائِقِ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ الرُّسُلَ، فَظَهَرَ لَدَيْكَ، مِمَّا تَلَونَا عَلَيْكَ، أَنَّ الأَوْلَى حَذْفُ قَوْلِهِ: (وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ)؛ لِأَنَّ الْوَجْهَ الثَّانِيَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ إِيرَادُهُ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ، وَذِهْنٌ ثَاقِبٌ.

ثُمَّ قَالَ: «أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يُوصِلُونَ إِلَيْهِمْ آثَارَ صُنْعِهِ»[4]. [و/ 4]

أَقُولُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِـ(آثَارِ صُنْعِ الصَّانِعِ) مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِهِ، مِنَ الْفَنَاءِ وَالْعَدَمِ، وَالْحُدُوثِ وَالْقِدَمِ، وَالاِسْتِدْلَالِ مِنْ حُدُوثِهِ الظَّاهِرِ، إِلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْقَادِرِ، وَمِنْ تَغَيُّرِ الْمَوْجُودِ فَنَائِهِ[5]، إِلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَبَقَائِهِ، بِالنَّظَرِ الْجَلِيلِ، كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، لَكِنَّ مُشَاهَدَةَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ بِعُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمُ، لا لِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ وَإِرَاءَتِهِمْ كَمَا لَا يَخْفَى.

اللَّهُمَّ إِنْ يُقَالَ: إِضَافَةُ (الْآثَارِ) بَيَانِيَّةٌ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبُعْدِ، أَوْ يُرَادُ بِـ(آثَارِ الصُّنعِ) مَا يُشَاهَدُ مِنَ الْمَصْنُوعَاتِ الْعَجِيبَةِ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الْغَرِيبَةِ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، يَكُونُ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ مَا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَوْتَادِ وَالتِّلَادِ، وَالْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأَبْحَارِ، والحَقُّ: أَنَّهُ بَعِيدٌ فِي الغَايَةِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ دِرَايَةٌ، وإِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ هِدَايَةٌ.

وَالْحَقُّ عِنْدِي أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ -وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ-: جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا: أَيْ وَسَائِطَ بَيْنَ اللهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، فِي ظُهُورِ بَعْضِ الْأَحْوَالِ، مِثْلَ إِهْلَاكِ قَوْمٍ، وَمَا وَقَعَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ، وَفِي الْأَرْضِ مِنَ الزَّلَازِلِ وَالْخُسُوفِ، وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ، يَعْنِي: يُظْهِرُ قُدْرَةَ اللهِ وَحِكْمَتَهُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا فِي هَذِهِ عَبَدَتِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ صَرَاحَةً مَا ذَكَرَهُ عِنْدَ قَولِهِ: ﴿أُولِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾[6]: «ذَوِي أَجْنِحَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ، يَتَفَاوَتُ مَا لَهُمْ مِنَ الْمَرَاتِبِ، يَنْزِلُونَ بِهَا وَيَعْرُجُونَ أَوْ يُسْرِعُونَ نَحْوَ مَا وَكَّلَهُمُ اللهُ، فَيَتَصَرَّفُونَ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ»[7]. اِنْتَهَى.

---

(1) في المخطوط (تنقل).

(2) في المخطوط (بالصُّدر).

(3) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: 2/ 341.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 4/ 253.

(5) رسم المؤلف الهمزة بصورتين، (فناؤه) و(فنائه)، لينبِّه إلى أنَّ الوجهين جائزان، فـ(الموجود) اسم مفعول، فإذا أضفتَ ما بعده إليه رسمتَ الهمزة على صورة الياء: (الموجودِ فنائِهِ)، وإذا قطعتَ ما بعده عن الإضافة رسمتَ الهمزة على صورة الواو؛ لأنَّه حينئذ سيكون نائبَ فاعلٍ لاسم المفعول العامل عمل الفعل، فيكتب: (الموجودِ فناؤُهُ).

وإنَّما أثبتُّها على صورة الياء في المتن ليتوافق السجع فيما يليه من الفاصلة الثانية، وهو قوله: (فنائه، وبقائه).

(6) سورة فاطر، من الآية: 1.

(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 4/ 253.

[قَوْلُهُ][1]: (يَنْزِلُونَ بِهَا وَيَعْرُجُونَ) نَاظِرٌ إِلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ مِنْ تَفْسِيرِي (رُسُلًا)، وَقَوْلُهُ: (أَوْ يُسْرِعُونَ) نَاظِرٌ إِلَى ثَانِيهِمَا، وَالدَّلَالَةُ عَلَى مَا قُلْنَا إِلَيْكَ، من قولِهِ: (أو يُسرعون)[2]...إلخ ظاهِرٌ، وَالْإِنْكَارُ إِلَيْهِ مَحْضُ الْمُكَابرِ.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ[3] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، قالَ الإمامُ القاضِي البَيضَاوِيُّ: «وَاخْتِلَافُ الضَّمِيرَيْنِ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُولَ الْأَوَّلَ مُفَسَّرٌ بِالرَّحْمَةِ، وَالثَّانِي مُطْلَقٌ بِتَنَاوُلِهَا الْغَضَبُ، وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ [ظ/ 4] بِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ»[5].

أَقُولُ: وَالْحَقُّ فِي الْإِنْصَافِ مَا قَالَهُ صَاحِبُ الْكَشَّافِ أَوَّلًا، وَهُوَ أَنَّ الثَّانِيَ مُفَسَّرٌ بِالرَّحْمَةِ، لَكِنَّه تُرِكَ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي، فَتَأْنِيثُ الضَّمِيرِ بِالْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى، أَيْ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ، وَتَذْكِيرُ الثَّانِي بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْمُقَابَلَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ[6]، فَعَلَى هَذَا: فَالْعِلَّةُ فِي التَّفْسِيرِ بِالرَّحْمَةِ فِي الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي لِلْإِيمَاءِ بِأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ مَفْتُوحَةٌ لِعِبَادِهِ، ولَا إِمْسَاكَ فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الْوَجِيهُ.

وَفِي كَلَامِ الْبَيْضَاوِيِّ نَظَرٌ؛ أَمَّا أَوَّلًا فَلِأَنَّ إِمْسَاكَ الْغَضَبِ رَحْمَةٌ، فَكَيْفَ يَصِحُّ مَا قَالَهُ؟ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِأَنَّ (مَا) فِيهِ شَرْطِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْحَاءَ مَكْسُورَةٌ[7] فِي كُلِّ الْقِرَاءَةِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلُهُ؛ لِأَنَّ الْمَوْصُولَ الْأَوَّلَ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ إِطْلَاقَ الْمَوْصُولِ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ يَجُوزُ لِلْمُشَابَهَةِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَدَبَّرَ، وَأَمْعَنَ فِي النَّظَرِ وَتَفَكَّرَ، وَوَجْهُ الْإِشْعَارِ بِأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ أَنَّ الْفِقْرَةَ الْأُولَى مَخْصُوصَةٌ بِالرَّحْمَةِ، وَهَذِهِ الْفِقْرَةُ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا، وَهُوَ الْغَضَبُ، فَكَأَنَّ الرَّحْمَةَ غَالِبَةٌ عَلى الْغَضَبِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ تَخْصِيصَ (مَا) بِـ(الْفَتْحِ) بِكَوْنِهِ رَحْمَةً يُشْعِرُ بِأَنَّ مَا يَفتَحُ مِنَ الْغَضَبِ لَهُ مُمْسِكٌ، وَمُمْسِكُهُ رَحْمَتُهُ، وَقَوْلُهُ: (وَمَا يُمْسِكْ) لَمْ يَخْتَصَّ بِشَيْءٍ، فَيَشْمَلُ الْغَضَبَ وَالرَّحْمَةَ، فَتَكُونُ الرَّحْمَةُ غَالِبَةً عَلَى الْغَضَبِ.

وَالْعَجَبُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْأَفَاضِلِ[8] فِي بَيَانِ الْإِشْعَارِ، فَإِنَّ فِيهِ إِيقَاعَ الْفَتْحِ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَالْإِمْسَاكِ عَلَى الْغَضَبِ[9].

وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ (مَا) فِي قَوْلِهِ: (مَا يُمْسِكْ) يَتَنَاوَلُ الرَّحْمَةَ وَالْغَضَبَ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْبَيْضَاوِيُّ، فَلَيْسَ فِيهِ إِيقَاعُ الْإِمْسَاكِ عَلَى الْغَضَبِ فَقَطْ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِهِ، وَأَيْضًا وُجُودُ الْإِيقَاعِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَحَلُّ نِزَاعٍ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ، وَالْفَطِنِ الْأَدِيبِ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى عَمَّ نَوَالُهُ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، تَاسِعِ شَهْرِ مَوْلُودِ النَّبِيِّ[10]، سَنَةَ ثمان وسبعين وتسعمائة، [و/ 5] بِيَدِ كَاتِبِ الْأَحْرُفِ وَالسُّطُورِ، الْمُعْتَرِفِ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ، الْخَالِي عَنْ حُلِيِّ الْعُلُومِ وَالْفَضَائِلِ، الْعَبْدِ الْمُفْتَقِرِ إِلَى الْمَلِكِ الْوَلِيِّ، الْحَقِيرِ: حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَامَلَهُمَا اللهُ بِلُطْفِهِ الْجَلِيِّ، وَعَوْنِهِ الْمَلِيِّ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ عُيُوبَهُ، فِي

(1) زيادة من المحقِّق، وفي المخطوط طمس في هذا الموضع.
(2) في المخطوط: (ليسرعون).
(3) في المخطوط نسَي المؤلف كتابة (من بعده).
(4) سورة فاطر، من الآية: 1.
(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: 253/ 4.
(6) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري: 597-596/ 3.
(7) أي في قوله تعالى: (ما يفتحِ اللهُ).
(8) علَّق المؤلف في الحاشية: (الفاضل سعدي جلبي).
(9) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص 165.
(10) وهو شهر ربيع الأول؛ لأنَّ الرَّاجح من الأقوال أنَّ مولد النبيِّ ﷺ في ربيع الأول. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: 158/ 1.

الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، بِالْحَنْطِ وَالْحَلِ، وَالزَّيْغِ وَالزَّلَلِ، وَسَمَّيْتُهَا: بـ(**الْقَوْلِ الظَّاهِرِ، فِي أَوَّلِ فَاطِرٍ**). [ظ/ 5].

الخاتمة

في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أبرزها:

1. أثبت التحقيق أنّ الرسالة تُمثّل نصًّا تفسيريًّا نادرًا وغير مطبوع لابن الحنّائي، يكشف جانبًا مهمًّا من إنتاجه العلمي في رسائله الجزئية، ويبرز قدرته في معالجة المسائل التفسيرية الدقيقة بأسلوب لغويّ وبلاغيّ رفيع، وتبيَّن أنّ الرسالة تنتمي إلى بيئةٍ نحويّةٍ بلاغيّةٍ متأثّرة بالكشّاف وشروحه، وأنّ مؤلِّفها متضلِّع في النحو والبلاغة وأصول الدلالة، لا مجرَّد ناقلٍ أو شارحٍ.

2. الرسالة لا تشرح الآية شرحًا ابتدائيًّا، بل تنفذ إلى مواضع الإشكال في كلام المفسِّرين، وتحرّر مسائل دقيقة كالمجاز العقلي، ومعنى الفطر، والإضافة في اسم الفاعل، ورفع التعارض بين أقوال الزمخشري، كما أظهرت الرسالة سمةً واضحة من سمات المدرسة التفسيريّة المتأخّرة، حيث يتداخل التفسير مع النحو والبلاغة، ولا يُفصل المعنى عن الصناعة اللغويّة.

3. قدّم المؤلِّف إضافات مهمّة، منها: نقد توجيه المجاز بالملزوم واللازم، وترجيح كون (الفطر) بمعنى الإبداع حقيقةً لا مجازًا، وتحقيق مسألة الإضافة في اسم الفاعل تحقيقًا نادرًا في كتب التفسير.

4. الراجح أنّ هذه الرسالة تعليقة نقديّة لا حاشية؛ لغلبة المناقشة والترجيح، وعدم التزام نصٍّ واحد، وتوسيع المسائل إلى أصولها النحويّة والبلاغيّة، مع التصريح بجمع التحقيقات من مصادر متعدّدة.

5. وجود إضافات نقديّة نوعيّة امتازت بقوّة النقد والدقّة في التفريق بين المفاهيم، وسلامة الذوق العربي والبلاغي، وجمع شتات أقوال المفسِّرين والنحاة في مسألة واحدة، مع توجّهها لأهل الاختصاص لا لعامة القرّاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- **أخبار القضاة**، القاضي وكيع، محمد بن خلف بن حيّان (ت 306 هـ)، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط1، 1366هـ-1947م.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، علي بن محمد، أبو الحسن، ابن الأثير الجزري (ت 630 هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ- 1994م.
- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (ت 1396 هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، ط15، 2002 م.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين، علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1982م.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1418هـ.
- **الأوائل**، الحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال

العسكري (ت نحو 395هـ)، دار البشير، طنطا، ط1، 1408هـ.
- **البدور المضية في تراجم الحنفية**، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، دار الصالح- القاهرة، مكتبة شيخ الإسلام- بنجلاديش، ط2، 1439هـ- 2018م.
- **البديع في علم العربية**، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، أبو السعادات ابن الأثير الجزري (ت 606 هـ)، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط1، 1420هـ.
- **بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا، د.ط، د.ت.
- **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت 538 هـ)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث- القاهرة، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م.
- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م.
- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1987م.
- **حاشية الملَّا خسرو على تفسير الإمام البيضاوي**، تحقيق: هشام عبد الكريم بلقاضي، المكتبة العمرية- القاهرة، دار الذخائر - القاهرة، ط1، 2005م.
- **حاشية سعدي جلبي (ت 945هـ) على تفسير البيضاوي (ت 685هـ)، من سورة الروم إلى نهاية سورة يس** -دراسة وتحقيق-، الطالب: حيدر ناصر سلمان، الجامعة المستنصرية- كلية العلوم الإسلامية- قسم التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، 2013م.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي (ت 1111هـ)، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند، ط2، 1972- 1976م.
- **ديوان أبي دُلامة الأسدي**، إعداد: رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1985م.
- **السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى، أبو بكر بن مجاهد (ت 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط2، 1400هـ.
- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ(حاجي خليفة) (ت 1067 هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا- إسطنبول، 2010م.
- **السيرة النبوية**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 213 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375 هـ - 1955م.
- **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك

(ت 686 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1420هـ- 2000م:.

- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل المصري (ت: 769 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، ط20، 1400هـ - 1980 م.
- **شرح المفصل للزمخشري**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، ابن يعيش الموصلي، (ت 643هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، عبد الله بن يوسف بن أحمد، جمال الدين ابن هشام (ت 761هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا، د.ط، د.ت.
- **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م.
- **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، أحمد بن مصطفى بن خليل، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (ت 968 هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، د.ط، د.ت: ص265، وسلَّم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ(حاجي خليفة) (ت 1067 هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا- إسطنبول، 2010م.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407هـ- 1987م.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط2، 1413هـ.
- **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: علي محمد، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 1396ه.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت833هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، ومجدي فتحي السيد، دار الصحابة- طنطا، ط1، 2009 م.
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو 505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت 1031هـ)، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض، د.ط، د.ت.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط1، 1356هـ.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، الشهير بابن عدي، (ت 365 هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1،

1997م.

- **كتاب التقريب في التفسير**، وهو الشيخ الإمام المفسِّر قطب الدين محمد بن مسعود بن محمود بن تاج الدين السيرافي الشيرازي (ت 721هـ)، في الدَّار الشامية- إسطنبول، ط1، 2025.
- **كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار**، محمود بن سليمان الكفوي (ت 990 هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، مكتبة الإرشاد- إسطنبول، ط1، 1438هـ- 2017م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، المعروف بـ(حاجي خليفة) (ت 1067هـ)، عُني بتصحيحه: محمد شرف الدين يالتقايا- ورفعت بيلكه الكليسى، وكالة المعارف- إسطنبول، د.ط، 1941-1943م.
- **الكليات**، أيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.ط، د.ت.
- **الكنى والأسماء**، محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد، أبو بشر الدولابي (ت 310هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت، 1421هـ - 2000م.
- **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مِهْران، أبو بكر النيسابوري (ت381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة، مجمع اللغة العربية- دمشق، د.ط، 1981م.
- **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة (ت 1408هـ)، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ط، د.ت.
- **معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)**، علي الرضا قره بلوط- وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة- تركيا، ط1، 1422 هـ - 2001م.
- **معرفة الصحابة**، أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن- الرياض، 1419هـ- 1998م.
- **المنتقى شرح الموطأ**، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القرطبي الباجي (ت 474هـ)، مطبعة السعادة -مصر، ط1، 1332 هـ.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات الأنباري (ت 577هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط3، 1405هـ- 1985م: ص 252.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت 1339 هـ)، وكالة المعارف- إسطنبول، د.ط، 1951- 1955م.
- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، د.ط، 2000م.